الفصل الأول

كَهَنة المعاطف البيضاء

مقدمة

ظل [ألبرت أينشتاين] يحلم بنظرية كل شيء Reasonable Theory، تلك النظرية التي لا يتجاوز طولها البوصة الواحدة، والتي تصف كل شيء في كوننا، والتي تجمع النسبية بالكم، وقضى أينشتاين الأربعين عامًا الأخيرة من عمره محاولًا تحقيق هذا الحلم، ومات دون تحقيق شيء.

وبعد عقودٍ من وفاته جاء كهنة المعاطف البيضاء- علماء الكوانطا- وقالوا: نريد أن نعرف عقل الله حين خلق هذا الكون. فتوصلوا إلى نظرية الأوتار الفائقة وظنوا فيها الحلم الذي يجمع بين النسبية والكم، فظلت معادلاتهم تزداد حتى صارت اليوم بلايين بلايين المعادلات الممكنة رياضيًّا وكلها بنفس الدرجة من القوة، وكان نتيجة هذا الزخم العبثي في المعادلات أن افترضوا المستحيل العقلي- اللانهائية- وطلبوا منَّا أن نُصدقهم ونحن مغمضو العيون، وافترضوا المستحيل الإمبريقي التجريبي - الأكوان المتعددة- وطلبوا منَّا أن نُصدقهم، وافترضوا المستحيل الأنطولوجي المادي - الأبعاد الأحد عشر - وطلبوا منَّا أن نصدقهم، وتحولت الفيزياء على أيدي هؤلاء الكهنة إلى فيزياء ما بعد الحداثة، وصارت مكتظة ومحشوة بالتجريديات الرياضية التي لا علاقة لها بالواقع الأنطولوجي -المادي- الذي نحياه، وصارت الفيزياء الآن في أزمة على يد الكهنة الجدد كما يعرف المختصون.

وبعيدًا عن كون هؤلاء يفرضون علينا رؤية للكون مبنية على تجريداتهم الرياضية، وبعيدًا عن كون هؤلاء ابتعدوا كثيرًا عن نظرية البوصة الواحدة التي كان يحلم بها أينشتاين، وبعيدًا عن كون هؤلاء فشلوا رسميًّا في تحقيق أي تقدم يُذكر في النظرية الموحدة، بعيدًا عن كل هذا، فما نطلبه منهم بهدوء أن يقبعوا في معاملهم ولَا يُعطوا رؤية كلية للقضايا الوجودية

الكبرى من واقع نظرتهم القاصرة وفشلهم البحثي، ولا أدري بأي وجه يُشككون في معطياتنا أو في البدهيات العقلية بنتائج فشلهم التجريدي في المعادلات الرياضية، صراحةً هذه أُسميها بجاحة الطالب الخايب.

دعونا نبدأ القصة من أولها..

من الحقائق التي لابد أن تستقر في الذهن أنه ليس كل ما تُجيزه الرياضيات تجريديًّا، يُجيزه الواقع أنطولوجيًّا أو ماديًّا!

عندما يقول كهنة المعاطف البيضاء: إننا نستطيع أن نخترق الزمن عبر الثقب الدودي wormhole في نسيج الزمكان!

فهذا يعني أن الزمكان الذي هو تداخل الزمان والمكان شيء له وجود مادي، نستطيع أن نلمسه وأن نخترقه!

هل يوجد في عالمنا المادي شيء يُدعى تداخل الزمان مع المكان؟

هل للزمكان وجود أنطولوجي مادي، أم هو مجرد وجود إبستمولوجي معرفي تجريدي في معادلات النسبية العامة؟

هل يوجد في الواقع المادي أو التجريبي أو الحِسي أو العقلي شيء يُسمى نسيج الزمكان؟

هل البُعد الزماني الرابع time -الزمن-هو وجود مادي حقيقي أم مجرد وجود افتراضي لتبسيط هندسة الجاذبية في معادلات النسبية العامة عند أينشتاين؟

لا وجود مادي للزمان ولا يتداخل أنطولوجيًّا ماديًّا مع المكان، ولا يوجد شيء في الواقع المادي الأنطولوجي يسمى زمكان!

الزمان هو إحساس افتراضي بالوقت ينقسم عقليًّا إلى ماضي وحاضر ومستقبل!

إذن عندما يخرج عليك أحد كهنة الكوانطا، ويطلب منك أن تعبر معه الثقب الدودي، فاعلم أنه مهرج يتلاعب ببدهياتك العقلية ببعض الافتراضات الجدلية، أو التبسيطات الرياضية، فاليقين لا يندفع بالظن، والظن القوي لا يندفع بالظن الضعيف، والظن الضعيف

لا يندفع بالشك، والشك لا يندفع بالافتراض الرياضي المعادلاتي، فعندما يطلب منك أحد هؤلاء الملاحدة الجدد أن تتخلى عن اليقين في مقابل افتراض رياضي فبطن الأرض للعقل خيرٌ من ظهرها!

ولا شيء أسهل من ضرب بعض الرموز الرياضية للتعبير عن أي شيء ثم اختراع معادلة لقياسه.

وأُكرر مرةً أخرى: ليس كل ما تُجيزه الرياضيات تجريديًّا يُجيزه الواقع أنطولوجيًّا أو ماديًّا؛ بل إن الرياضيات أحيانًا تُخالف الواقع مخالفةً صريحة فمثلًا في عالمنا الواقعي المادي لا وجود للقطب المغناطيسي، لكن من أجل تكميم الشحنة أثبت بول ديراك Paul Dirac أنه يجب أن يكون هناك قطب مغناطيسي، فوجود القطب المغناطيسي المنفرد mono pole ضروري جدًّا لتكميم الشحنة، حتى تصِّح المعادلة الرياضية، فالقطب المغناطيسي المنفرد موجود في العالَم الرياضي إلزامًا؛ لكن لا وجود له في العالم الأنطولوجي المادي بل هو من قبيل الخرافة ماديًّا!

هل نقول الآن: إن القطب المغناطيسي موجود ماديًّا. ونُنكر البدهيات الحِسية والمادية والتجريبية؛ بناءًا على المعادلة الافتراضية الرياضية؟

المعادلات ليست أكثر من توصيف رياضي تبسيطي!

إذن لا تدفع بديهتك العقلية بفرضية رياضية، لأنك بذلك تُشكك في الرياضيات نفسها لأنها نتاج العقل، فالفرضية الرياضية فرضية عقلية والحقائق حولك بدهيات عقلية، فحاول أن تؤسِس مراتب الأدلة عندك، وتعرف اليقين والظن القوي والظن الضعيف والشك والفرضية.

بل إن المشكلة الحقيقية التي نحن بصددها اليوم والتي كان هؤلاء الكهنة سببًا رئيسًا فيها أن كلَّ رؤيتنا للكون من حولنا تشكلت عبر معادلات رياضية، فلا تُسلِّم لكل ما تسمع أو تقرأ، بل اجعل بدهياتك العقلية ومراتب الأدلة عندك حَكمًا وهي الحكم العدل إن شاء الله.

لكن ما مشكلتنا الحقيقية مع كهنة المعاطف البيضاء؟

هل مجرد رفض الوجود المادي للتجريد الرياضي هو القضية؟

صراحةً؛ القضية أكثر عُمقًا، وتشعبت كثيرًا الآن وهي قابلة لمزيد من التشعب، فكهنة المعاطف البيضاء لم يعودوا يكتفون برصد الظاهرة كما العلماء المحترمون عبر العصور، بل أصبحوا يفترضون تفسيراتهم الفلسفية الخاصة على القضية المرصودة، فافترضوا الوجود المادي للتجريد الرياضي، وافترضوا التفسيرات الفلسفية فيما رصدوه وفيما عجزوا عن رصده، وطالبوا بتسليمنا برؤيتهم في القضيتين معًا، وسنشرح هذه المسألة بشيءٍ من التفصيل لخطورتها على البدهيات والضرورات العقلية ومراتب الأدلة التي اتفق عليها العقلاء!

مشكلتنا مع كهنة المعاطف البيضاء ليست بشأن الظاهرة وآلية حدوثها، فالظاهرة مثل tunneling effect ستتكرر إلى يوم القيامة، مشكلتنا الحقيقية مع كهنة المعاطف البيضاء هي بشأن تفسير الظاهرة، والذي يدخل كليًّا رغمًا عنَّا وعنهم في دائرة الفلسفة والميتافيزيقيا.

ففي فيزياء الكوانطا الكمية القضية كلها متعلقة بالراصد وطريقة رصده، يقول فيلسوف الفيزياء جون ويلر john wheeler " عملية القياس تُحدِث تغيرًا لا سبيل إلى التنبؤ به وهكذا تمت ترقية المراقب - الراصد - ليصبح مشاركًا... وهذا أمر شديد الدهشة».، فالرصد في المجال الكوانطي ليس هو القياس في حقيقته، فعندما ترصد فوتون الضوء فأنت ترصده بفوتون ضوء وبالتالي يتأثر الرصد جدًّا ويجعل من الراصد مشارك في العملية الفيزيائية التي تتم في هذا المجال النانوي».

والمشكلة الحقيقية ليست في الظاهرة، ولا حتى في رصدها، وإنما في التفسير الفلسفي للظاهرة!

فمثلًا في تفسير ظاهرة ما في ميكانيك الكم تجد تفسير أينشتاين - الذي يرفض القضية بالكلية ويعتبر كل تفسيرات علماء الكوانطا مجرد تخريف وهرقطة وكهانة -، وتجد تفسير دي برولي وتفسير مدرسة كوبنهاجن - التي ترفض كل شيء ما عدا القياس وتعتبره مرجعًا وحيدًا معرفياً، وفي هذا مدرسة كوبنهاجن لا تعارض بدهيات العقل فحسب بل تعارض بقية النظريات مثل النسبية ومعادلات ماكسويل-.

فالمشكلة الأساسية مع الكهنة الجدد هي في تفسير عملية القياس في ميكانيك الكم، والتي يرغب كهنة المعاطف البيضاء أن تكون حكرًا لهم!

ومشكلة القياس في ميكانيك الكم هم مشكلة جوهرية، والصراع فيها فلسفي وليس علمي!

ولذا كان [أينشتاين] مُحقًّا حين قرر أن العالِم حين يتفلسف يصبح فيلسوفًا خائبًا، ويجلب الكثير من الضوضاء!

فمشكلة تفسير القياس في المجال الكوانطي هي مشكلة فلسفية لاهوتية، وليست مشكلة رصدية، فكهنة الكوانطا يجعلون من معارفهم التي توصلوا إليها بالرصد نظريات علمية - وهذا نُسلِّم لهم به- ويجعلون من غموض ما لم يتوصلوا إليه آراء فلسفية وهم يطلبون منا التسليم لهم في الحالتين، ولا أدري بأي حق يريد كهنة الكوانطا أن يُملوا علينا مقرراتهم ورؤيتهم الفلسفية؟

كيف التسليم مثلًا بأبعاد موازية وأكوان متعددة وكسر لبدهيات عقلية، مع أن هؤلاء الثلاثة لا يوجد عليهم دليل إمبريقي أو رصدي أو قياسي واحد حتى الآن، وكلها كومات من المعادلات الرياضية التي تتيح الشيء ونقيضه ثم يفترضون إسقاط ذلك على ما لم يتم رصده أو قياسه.!

مثال على ذلك: يقول أحد هؤلاء الكهنة بوجود أكوان متعددة Multi Universe، لكن هذه الأكوان المتعددة لم تثبت رصديًّا، بل يستحيل إثباتها رصديًّا أو إمبريقيًّا لأنها تكسر حاجز أُفق الجسيم particle horizon وهذا أمر ممنوع فيزيائيًّا، بل إنه من العجيب أن الرياضيات التجريدية أيضًا تمنع وجود أكثر من كونٍ واحد؛ لأن وجود أكثر من كون سيتبع نفس main Hamiltonian وهذا ممنوع رياضيًّا طبقًا لل orthagonality theorm، فلا يُسمح إلا بكونٍ واحد ومع ذلك الأكوان المتعددة تدخل قاموس الإلحاد الجديد بقوة، رغم أنف العلم!

مثال آخر: يبحث الكهنة الجدد عن حياة خارج الأرض وينفقون مبالغ طائلة في هذا (الصدد)، وبالمناسبة هذه كلها محاولات فلسفية لإنزال الإنسان عن مركزيته في هذا الوجود فيفترضون أكوانًا بالمليارات وحياة في كواكب أُخرى وأبعادًا موازية وعوالم متراكبة حتى يُشعِروا الإنسان أنه بلا قيمة - ومشروع البحث عن حياة خارج الأرض هو مشروع لا يوجد عليه دليل إبستمولوجي معرفي واحد، ولا دليل أنطولوجي مادي واحد، ويخالف مبرهنة فيرما التي تقول: بما أنك لم تتحصل على دليل مادي ولو أولي على حياة خارج الأرض، فمن العبث الإنفاق على مشروع هكذا.

وحتى نستوعب كم الخلط في فِكر الكهنة الجدد، وطريقتهم في تفسير القياس، وتناقضهم الذاتي، فأنا سأطرح فرضية سخيفة:

سأفترض أن الكون كله يحمله حوت ضخم في فمه سيجار أمريكي، ويتعلق في ذيله المعتوه لورانس كراوس - أحد كهنة الإلحاد الجديد-، وفي زعنفته مسبحة شيخ صوفي!

هل يُمكن علميًّا نقض هذه الأُطروحة؟ طبقًا لمعطياتنا العلمية المتاحة هذا مستحيل، لكن هل تعلم أن احتمالية هذا الأمر طبقًا لمعطيات الكهنة الجدد هي احتمالية تزيد على الصفر، وبالتالي هي احتمالية قائمة لكنها قريبة من الصفر!!

وقِس على ذلك أي خُرافة تطرأ على ذهنك!

الآن حاوِل أن تُحدث هؤلاء عن أحد القضايا الغيبية الإيمانية وانظر ردة فعلهم!!

إنهم يفترضون أبعادًا موازية، لكنهم لا يقبلون الحديث عن وجود جان أو شياطين!

يفترضون أكوانًا متعددة، لكنهم لا يقبلون وجود عالم آخر!

مشكلة تفسيرات كهنة الكوانطا أنهم يجعلون من قصورهم المعرفي تفسيرات افتراضية قائمة، ثم يؤسسون على هذه التفسيرات الافتراضية رؤى ونظريات وأفلامًا علمية وبرامج وثائقية وروايات خيال علمي تجوب جنبات العالم، ولا يوجد في فروع العلم المادي شيء وصل إلى هذا الحد من الكهانة سوى علماء الأنساب - علماء الداروينية -، ولذا كانت تفسيرات كهنة الكوانطا شيئًا ممجوجًا حتى من قِبل المؤسسات العلمية المُعتبرة ويصف [باولي] تفسيرات كهنة الكوانطا في هذا الإطار بأنها knabenphysik أي فيزياء الصبية بالألمانية[1].

وكان أوتو شاتيرن - العالم الفيزيائي الشهير - يُقسم أنه سيترك الفيزياء إذا كانت تفسيرات كهنة الكوانطا صحيحة.!

وتمنى لورنتز - عالم الكوانطا- أن يموت قبل أن يرى تفسيرات كهنة الكوانطا تلك.

وقال العالم بول إبشتاين: «إن القوانين الكمية بالشكل الحالي هي إلى حدٍ ما نظرية لاهوتية فيما يختص بالطبيعة، ومن ثَم فإن الكثير من العلماء لهم الحق في سخطهم على هذه القوانين»[2].

(1) الاحتمالات المثيرة للنظرية الكمية تأليف: ليونيد بونوماريف ترجمة: إيمان أبو شادي الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى 2007 ص128.

(2) م. س.

وكان باولي يرى أن المسرحيات الهزلية أفضل من تفسيرات كهنة الكوانطا. 3--[1].(*)

الإبستمولوجيا	هي النظرة المعرفية التي في الذهن.
الأنطولوجيا	هي الشيء المادي خارج الذهن.
الإمبريقية	التجريب العلمي.
الميثودولوجية	الطريقة العلمية للتثبت من صحة افتراض علمي.

الكاهن الملحد

المعضلة الحقيقية التي نحن بصددها، هي كون الإلحاد عقيدة مكتملة المعالم، لها كهنة ومرتزقة ومتسولون وأتباع!

يقول الكاهن الملحد لا نلتزم إلا بالدليل العلمي المادي التجريبي الإمبريقي؛ لكن يا حضرة الكاهن استنتاج النتخاب الطبيعي في النظرية الداروينية هو مِن طرق تأويلية فلسفية مُركبة وليس من طرق علمية مادية إمبريقية ميثودولوجية!

والداروينية كلها تقوم على الإستنباط العقلي- بغض النظر عن صحته- لا الدليل التجريبي، فلم يشهد العالم كله حالة macro-evolution واحدة، ومع ذلك الداروينية من مُسلمات الإيمان الإلحادي!

يقول الكاهن الملحد: توجد أديان كثيرة فالأفضل الحكم على الجميع بالسجن. لكن يا حضرة الكاهن هذا حال القاضي الفاشل الذي وجد الحق يتنازعه أُناس كثيرون فحكم على الجميع بالسجن، بل وزعم هذا القاضي أن حُكمه الجائر هذا هو الحق الذي يبحث عنه هؤلاء!

يقول الكاهن المُلحد: الإسلام ليس أكثر من دين بين الأديان، وعقيدة بين العقائد. لكن

(1) 3 -م.س.

(*) هذا المقال من وحي كتاب آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، لأُستاذنا أبو الفداء ابن مسعود وهو كتاب هام للباحثين في القضية الإلحادية من إصدارات دار سما هاتف 01146519424

يا جناب القمص الملحد لا يوجد غير الإسلام والكفر، فلا يوجد على وجه الأرض سوى ثلاث ديانات سماوية - إسلام، مسيحية، يهودية- والباقي أرضي باعتراف أصحابه، واليهودية لا يدخلها إلا يهودي الأبوين فهي ديانة قومية انتهى أمرها، والمسيحية أدخلت التثليث والأقانيم والآلهة البشرية في قلب عقيدتها، وآمنت بمبادئ الوثنية من موت الآلهة عارية على الصلبان إلى انتزاع آلهة من آلهة أُخرى - انتزاع الروح القدس من الآب أو الإبن على خلافٍ بينهم- إلى أكل لحم الآلهة وشرب دمائهم- عقيدة الأفخارستيا-، وبذلك انتقلت المسيحية من السماوية إلى الوضعية الوثنية على يد مجامع صناعة الآلهة في عهد قسطنطين، ولم يبق إلا الإسلام الديانة التوحيدية النقية، فالإسلام ليس ديانة كالديانات، وإنما هو أصل الديانات وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى:13].

يتساءل حضرة الكاهن الملحد كيف يدخل الجنة المسلمون فقط، والباقون يدخلون النار مع أن منهم علماء كبار في الفيزياء والطب والفلك؟!! ألا تعلم يا نيافة الأنبا الملحد أن كثيرين من أهل الأرض الآن لم تقم عليهم الحُجة الرسالية التي تقتضي دخول النار؟!! والمحكمة الأُخروية الكبرى لم تقم بعد وهي محكمة عظمى مُدتها خمسون ألف سنة، أي أطول من عمر البشرية كله، وفي هذه المحكمة سيدلي كلٌّ بحججه، فأما الكافر الذي وصلته رسالة الإسلام فحجته داحضة عند الله بنص القرآن، أما الذي لم تصله الرسالة فستكون الآخرة بالنسبة له هي تكملة لرحلته الدنيوية وسيُكلف ويُختبر ويُمتحن، وربما يكون بعض هؤلاء العلماء الذين تتباكون عليهم في درجة عالية من الجنة لا نصلها نحن!

فلا تقلق نيافتك إلا على نفسك ولا تهتم إلا بحالك، فالله لن يظلم عباده فكن مطمئنًا ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: 182].

فيا نيافة الملحد لا تجعل كفر غيرك سببًا لكفرك، فهذا ليس مبررًا عقلانيًّا ولا منطقيًّا للكفر، ولن يغني عنك شيئًا عند الله يوم القيامة!

مشكلة العقل الغربي الذي يرعى الكهنوت الإلحادي

مشكلة العقل الغربي في أصله أنه عقل أداتي نفعي مصلحي مادي، يحمل بُغضًا غير مُبرر للدليل النقلي الجاهز، فتراه يُسلِّم بالخرافة UFO - الأطباق الطائرة- لأنها من صنعته، ويتردد في المعرفة النقلية وإن كانت أكثر منطقية وضبطًا من هذيانه، مثلاً: عندما كان يحارب اللاأدري الكاهن الشهير [كارل ساغان] من أجل تمرير أُسطورة السفر عبر الزمن، وزوار من كواكب أُخرى، كان [ستيفن هاوكنج] يعترض على الأمر رياضيًّا، ويرى استحالة السفر عبر الزمن وأن المسألة خرافة ووهم، وكذلك الزوار الأجانب مجرد شعوذة، والدليل على ذلك أننا لا نقابل أفواج القادمين هؤلاء كل يوم ولم نلحظ أحدًا منهم، فقال ساغان: « الذين يأتون عبر الزمن من السهل أن يمتلكوا طرق تُخفيهم، وربما كان الجان هم هؤلاء المسافرين عبر الزمن»..!!

إذن يستقر في وعي هذا الكاهن ساغان وجود الجان؛ لكنه يقبل أن يكون هؤلاء الجان زوارًا من مجرات أُخرى أو أزمان أخرى، ولا يقبل بالطرح الديني النقلي بشأن قضيتهم!

وربما لو سايره [هاوكنج] في هذيانه، كان [كارل ساغان] الآن أحد أعمدة الملحدين الذين يؤمنون بوجود الجن ولما تردد الملاحدة العرب في بحث طرق الرقية الإلحادية من الجن!

هل ثمة مبرر علمي أو مادي أو حسي أو إمبريقي أو إبستمولوجي أو رياضي أو فلسفي لهذيان [كارل ساغان]؟ لا يوجد دليل واحد ولا حتى افتراضي!

لكن بما أن المسألة إفتراض غربي إذن ستلقى رواجًا إعلاميًّا، وبعد موت الكاهن ساغان بسنوات سيأتي خليفته الكاهن [ميتشيو كاكو] ويعطينا عشرات الأفلام الوثائقية في هذا الهذيان، وسيتلقفها الشباب الباحث عن الغرائب وستبقى هذه الأساطير في الذهن الجمعي ما شاء الله لها أن تبقى، وهذه هي قضيتنا المفصلية.. لا تُسلِّموا لهذيان كهنة الإلحاد الجديد، لا تجعلوا من افتراضات الرياضيات التجريدية رؤية كونية، لا تجعلوا مما لم تحيطوا بعلمه أو يأتكم تأويله حقًّا تدافعون عنه وتحاربون من أجل ترويجه والإيمان به!

كهنة الإلحاد الجديد والاقتصار على العلم التجريبي الإمبريقي فقط

يتشنج الكاهن الملحد قائلاً: «لا تُحدثني عن الأدلة العقلية، أو البدهيات المنطقية، أنا لا أُسلِّم إلا بمعطيات العلم التجريبي الوضعي المادي».

ما لا يعرفه نيافة الكاهن الملحد أن مصدر المعرفة في العلم التجريبي الوضعي هو العمل العقلي في مُدخلات الحس والمشاهدة والتجريب، وأساس العلم التجريبي هو البديهيات العقلية والمُسلمات المنطقية ثم يكون الاستقراء المعرفي بدرجاته، هذه بداية العلم التجريبي ونهايته.!

وفي واقع الأمر فإن الملحد كاذب في ادعائه هذا؛ لأنه يرفض الأدلة الدينية فقط، ولذا فهو يقبل النص التاريخي مادام مصدره من خارج التأريخ الديني - ويرفض نفس النص التاريخي بنفس درجات الاستقراء وأدوات الثبوتية لو كان مصدره دينيًّا -، ويقبل الملحد أيضًا الترجيح العقلي والمنطقي بعموم، ويقبل الترجيح الرياضي، ولولا الترجيحات الثلاثة الأخيرة ما قَبل بالعلم التجريبي نفسه؛ لأن أدوات التثبت من معطيات العلم التجريبي هي أدوات عقلية ومنطقية ورياضية.

ولذا نقول للكاهن الملحد: هل شرطكم في بناء معرفة أن تكون صحيحة وموافِقة للواقع بدليل علمي صحيح، أم تكون مقصورة على جنس البحث الإمبريقي والطريقة التجريبية فقط؟

إن كانت الثانية وكان كل ما يأتيكم من دعاوى معرفية أخرى مرفوضةً، فهذا الشرط ساقط بذاته إذ لا يُتخيل التسليم به مجردًا دون تأسيس عقلي ومنطقي ورياضي ومعرفي دون بديهة أسبقية A-Priori مستقرة في عقل الباحث أو العالِم أو الفيزيائي.[1]

فمراتب الأدلة والبراهين التي اتفق المناطقة على حُجيتها، تتراوح بين الدليل الرياضي والدليل العقلي والدليل التجريبي، وفي الأخير يأتي الدليل الحسي..

ولذا عندما يُقرر أحد كهنة الإلحاد رفض بعض الأدلة فمشكلته مع المنطق وليست معنا نحن!

(1) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين.. لأُستاذنا أبو الفداء ابن مسعود.. دار الإمام مسلم.. ص 577 بتصرف.

فما أبأس عقل الملحد الذي يرفض ذاته بذاته! حين يرفض استخدام عقله بعقله، فسبحان مَن جعل للشيطان سلطانًا على هؤلاء في بدهيةٍ لا يُخطئها حَدَث صغير؛ لكنه الكفر!

بل إن المعرفة تعتمد على الهاديات الأربع العقل والنقل والتجربة والوجدان[1].

فالأدلة المعرفية لا تنحصر في الدليل التجريبي الوضعي، و إلا فما مصدر القيمة الأخلاقية؟ وما مصدر الحِس الجمالي؟

يقول الملحد الداروينى المتعصب ريتشارد داوكينز «أنا ضد الداروينية ولا أُطيقها حين يتعلق الأمر بحياتنا»[2].

ذو يرى شرودينغر أبو ميكانيك الكم أن العلم التجريبي حين يتحدث عن القيمة الأخلاقية أو القيمة الجمالية فهو أراجوز نستمع له لنضحك لا لنأخذ كلامه على محمل الجد.![3].

فالملحد الذي يزعم أن الحق لا يوصَل إليه، والمعرفة لا تتحقق إلا من طريق العلم التجريبي وحده؛ لا يوصف بأنه صادق في طلب المعرفة أصلاً، وهو من أكذب الناس[4]!.

(1) وهم الإلحاد..د.عمرو شريف.

(2) اللقاء الذي أجرته قناة الجزيرة انجليزي مع ريتشارد داوكينز دقيقة 42.

(3) شرودنغر في كتابه الطبيعة والإغريق nature and the greeks.

(4) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين.. لأستاذنا أبو الفداء ابن مسعود.. دار الإمام مسلم.. ص 605 بتصرف.